مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٨/٧/٣

... ونحن نراجع تجربتنا في ممارسة الديمقراطية

علينا ألا نعزلها عن التيارات الفكرية التى تتجاذب العالم

انقسم العالم بعد الحرب العالمية الثانية الى معسكرين الاول ينتمى كما هو معروف للعالم الرأسمالى والثانى للشيوعى . ولكل منهما نظمه ومفهومه الخاص للحرية — وبالتالى اسلوبه فى الممارسة الديمقراطية . ومع زوال الاستعمار واستقلال الشعوب ظهرت دول جديدة اخذت تحسس طريقها لتوطيد استقلالها وتحقيق نموها وحارت بين العالمين الاول والثانى اذ سعى كل منهما لاستقطابها وانحيازها له تعزيزا لمركزه العالمى . ولكن شعوب هذا العالم الجديد — الثالث — نفرت . بشعور تلقائى . من الانضواء تحت لواء هذا المعسكر أو ذاك خوفا من العودة للتبعية تحت ستار جديد . فانتهجت خارجيا سياسة عدم الانحياز بينما أخذت خطواتها داخليا تتعثر وهى تختار طريق التنمية . فهى لاتستطيع تعويض مافاتها وتحقيق التقدم بالطريق الرأسمالى لانها دول فقيرة لا تملك رؤوس الاموال الكافية والتى يمكن أن تاتى من الخارج اذا ضمنت الحصول على فائدة من مشروعات ذات طابع استعمارى وهكذا فانها لم تجد بدا من سلوك الطرق الاشتراكية التى تتفق مع ظروفها الاجتماعية وتبيح لدخل الدولة لرسم الخطط وتنفيذها . وتوقف على تدخل السلطة وتحكمها مقدار الحرية التى يتمتع بها أفراد الشعب .

على أن الحرية فى ذاتها كانت فى نفس الوقت تجتاز أزمة نتيجة للتطورات المتلاحقة التى يشهدها العالم بعد الحرب . فقد برز دور الجماهير الشعبية فى صنع التطور . وادت الثورة الصناعية الى ظهور التجمعات الضخمة التى صار لها مع الزمن ثقلها السياسى ولم يعد للفرد حتى فى الدول الرأسمالية وجود فعال الا فى اطار المنظمات الجماهيرية كالنقابات والاتحادات . فنادت الشيوعية بالمساواة ومنع استغلال الانسان للانسان ، وطبقت مبدأ المركزية الديمقراطية الذى لايسمح لغير الحزب الواحد والراى الواحد ؛ ويقضى — كما هو مشاهد — الى عبادة الفرد واذلال الانسان للانسان ..

وفى المقابل أدى الاسراف فى الحرية الفردية ، فى ظل الرأسمالية الى حكم اصحاب رؤوس الاموال وحرمان الفرد من حقوقه ، وأدرك كل معسكر وبخاصة مع التطور التكنولوجى الذى يحتاج الى تبادل الاخذ والعطاء عيوب نظامه ، وأخذ يعيد النظر فى مفهومه للحرية ، فظهرت نزعات ليبرالية فى الدول الشيوعية ونفذت الدول الرأسمالية بعض الاصلاحات الاشتراكية بل وتسلمت مقاليد الحكم فى معظم الدول الغربية الاحزاب الاشتراكية ، وبدا أن المعسكرين يتجهان على الصعيد الايديولوجى الى نوع من التقارب ، بل وتكهن بعض علماء الاجتماع بالتقائهما فى المدى البعيد على طريق الاشتراكية الديمقراطية ، وعزز هذا الرأى التقارب بينهما على الصعيد الدولى ، اذ خفت حدة التوتر فى ظل التعايش السلمى ، ثم بالوفاق بين الدولتين العظميين ، اذا كان من شأنه وضع مصالحهما الاستراتيجية فوق كافة الاعتبارات ، بما فيها الايديولوجية ، وانتهى الى تحقيق الانفراج فى أوروبا بتوقيع معاهدة هلسنكى . غير أن هذا الانفراج لم يبسط جناحيه ليشمل العالم الثالث الذى لم يكف الشرق والغرب عن محاولة اغرائه ليستميله الى جانبه ويجعله أكثر انحيازا لايديولوجيته ، وبالتالى أكثر مسايرة لنفوذه ، فدار حوله وتركز فيه الصراع الدولى .

وكما كانت مصر هى مصر . فهى **تضطلع دائما بدور رائد . بحكم ترانها الحضارى وموقعها الجغرافى ، فلم تلبث ان صارت فى اعقاب الحرب العالمية الثانية مهدا للتحول الثورى الذى سيشهده العالم الثالث. فتخلصت من الاستعمار وحملت راية عدم الانحياز واختارت الاشتراكية طريقا للتنمية والتقدم ، فخذلها الغرب . وخف الشرق لمساعدتها ، ومع** تزايد الارتكان عليه ورغبة فى التقارب منه اخذنا عنه اسلوبه فى الممارسة الديمقراطية . فطبقنا نظام الحزب الواحد [الاتحاد الاشتراكى] الذى انتهى بنا كما هو الحال فى الدول الشيوعية ، الى اقامة نظام شمولى رهيب عاث فيه الفساد ، وتراكمت المشاكل الى أن دهمتنا النكبة (لا النكسة) فى يونيو ١٩٦٧ ، فألقت على كاهلنا بأعباء جديدة واشتد احتياجنا للاتحاد السوفيتى عسكريا واقتصاديا ، فاستسلمنا لمطالبه ، واشتدت قبضته فانحرفنا عن طريق عدم الانحياز وفقدنا حرية اتخاذ القرارات فى اطار التنسيق بين البلدين ، وأخذ يتضح لنا يوما بعديوم أن من مصلحة الاتحاد السوفيتى استمرار حالة القلق والمعاناة المترتبة على الاحتلال وبقاء الاوضاع على ما هى عليه لضمان نفوذه فى المنطقة وأدركت القيادة الجديدة أنه لا سبيل أمام الشعب لاستعادة حريته واسترداد كرامته بل واقرار سلام عادل ودائم الا بالتخلص من الوصاية السوفيتية ، ومن هنا كانت حتمية ثورة مايو لتصحيح الاوضاع ورد السلطة للشعب باقامة حياة ديمقراطية سليمة وابعاد العناصر الموالية لموسكو . وأدى ذلك أن استعادت مصر حرية القرار فأبعدت الخبراء السوفيت وخاضت معركة أكتوبر المجيدة التى أكدت أن الديمقراطية هى الطريق الوحيد للتحرير ومواصلة التعمير .

عثمان عسل
سفير مصر السابق فى رومانيا